

شرح كشف الشبهات

الدرس ٤

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله؛ أما بعد...

معنا اليوم درسٌ جديد من دروس شرح كشف الشبهات وهو الدرس الرابع، وقد ذكرنا في الدرس الماضي كيفية رد الشبهات فذكر المؤلف رحمه الله طريقتين:

الطريقة الأولى؛ وهي رد جميع الشبهات التي ترد عليك في أمور دينك؛ وهي رد المتشابه إلى المحكم؛ فأنت ما عليك إلا أن تتعلم المحكم وتعرف دينك بشكل صحيح، ثم بعد ذلك أي شبهة ترد عليك في أي باب من أبواب الشريعة؛ تردّها مباشرة إلى المحكمات التي تعرفها وهي ثابتة عندك.

والشبهة التي ترد عليك؛ قل: هذه من المتشابه الذي يجب أن يردّ الى المحكم، فإذا عرفت كيفية الرد؛ ترد- يعني ترد المتشابه الى المحكم- وإذا لم تعرف كيفية الرد؛ فتقول: هذه يُرْجَعُ فيها إلى العلماء الراسخين في العلم؛ هم الذين يعرفون كيف يردون هذه الشبهة إلى المحكمات.

والآن يبدأ المؤلف معنا بالجواب المفصل، جواب مفصل؛ يعني: كل شبهة لها جواب خاص بها؛ يردّها به .

ويذكر المؤلف رحمه الله في هذا الدرس ثلاث شبه من الشبهات ويردّها بالتفصيل؛

فقال: (وَأَمَّا الْجَوَابُ الْمُفَصَّلُ؛ فَإِنَّ أَعْدَاءَ اللَّهِ لَهُمْ اعْتِرَاضَاتٌ كَثِيرَةٌ عَلَى دِينِ الرُّسُلِ، يَصُدُّونَ بِهَا النَّاسَ عَنْهُ)

أعداء الله المقصودون هنا: كل الذين يحاربون الله سبحانه وتعالى

ويحاربون شريعته ودينه بشتى
الطرق وبأسباب مختلفة؛ سواء
كانوا من الكفار الأصليين أو من
الكفار المرتدين أو من عبدة
القبور وغيرهم؛ كلهم من أعداء الله؛
المهم أنهم أعداء لهذا الدين
يحاولون بقدر الإمكان التلبيس على
الناس، وتغيير هذا الدين
وتشويهه .

أعداء الله لهم اعتراضات؛ يعترضون
على شريعة الله سبحانه وتعالى،
يعترضون على التوحيد، على الأحكام
الشرعية، هؤلاء الأعداء لهم
اعتراضات كثيرة على دين الرسل؛
يعني شبهات يلقونها ويعترضون
بها؛ فيورد عليك إشكالات في
عقيدتك التي أنت عليها؛ لكي يصد
الناس عن دين الله سبحانه وتعالى.

قال: (منها قولهم: لا نُشْرِكُ بالله)

من هؤلاء؟ هؤلاء الذين يعبدون
القبور؛ مثلاً: عبدة الأوثان؛ سواء

كانت هذه الأوثان من القبور أو من الأصنام أو من غيرها- لكن هؤلاء تحديدًا؛ الذين يعبدون القبور- يقولون لك: نحن لا نشرك بالله.

لماذا لا تشرك؛ وقد بينا لك سابقاً معنى الشرك ومعنى توحيد الألوهية ومعنى توحيد الربوبية؟ ولماذا كان المشركون يعبدون الأصنام يريدون أن تقربهم إلى الله زلفى؟ هذه المقدمة التي تقدمت معنا في الدروس السابقة مهمة جداً؛ احفظها، في هذه المقدمة رد على هذه الشبهة التي ستذكر الآن.

قال: **(بَلْ نَشْهَدُ أَنَّهُ لَا يَخْلُقُ وَلَا يَرْزُقُ وَلَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا؛ فَضْلًا عَنْ عِبَادِ الْقَادِرِ أَوْ غَيْرِهِ)**

طبعاً هذا الكلام لصنفٍ من هؤلاء الأصناف؛ يعني: نوعاً من أنواع عبدة القبور، عبدة القبور

عقائدهم مختلفة؛ ليسوا جميعاً على نفس العقيدة؛ إلا أنهم اجتمعوا جميعاً في عبادة القبور، وصرف العبادة لغير الله سبحانه وتعالى؛ فاجتمعوا من هذه الناحية في الشرك؛ لكنهم اختلفوا في اعتقاداتهم؛ منهم من يعتقد هذه العقيدة التي ذكرت هنا الآن؛ يعتقدون أن الآلهة هذه يعبدونها من أجل أن تشفع لهم عند الله سبحانه وتعالى، ولا يعتقدون أنها تنفع أو تضر... إلى آخره؛ لكن الحقيقة أن الموجود اليوم - مثلاً - عندنا في عبادة القبور غير هذا؛ فكثير منهم يعتقد أن هذه القبور تنفع وتضر؛ حتى إنهم يدعون صاحب القبر أن يرزقهم الولد أو أن ينزل عليهم المطر... إلى آخره؛ وهذا موجود - بعض الأصناف من هذا النوع -؛ فإذا هم أصناف وليسوا صنفاً واحداً، ولكلٍ منهم شبهة.

إِذَا عِنْدَنَا الْآنَ هَؤُلَاءِ مِنَ الَّذِينَ
يَعْتَقِدُونَ هَذَا الْاِعْتِقَادَ؛ لَكِنْ
يَقُولُونَ: نَحْنُ لَا نَشْرِكُ بِاللَّهِ- نَحْنُ
نَقُولُ لَهُمْ: أَنْتُمْ تَشْرِكُونَ؛ وَهُمْ
يَقُولُونَ: نَحْنُ لَا نَشْرِكُ-؛ لِمَاذَا لَا
تَشْرِكُونَ؟

قَالُوا: (لَأَنَّا نَشْهَدُ أَنَّهُ لَا يَخْلُقُ وَلَا
يَرْزُقُ وَلَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ
مُحَمَّدًا ﷺ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلَا
ضَرًّا، فَضْلًا عَنْ عَبْدِ الْقَادِرِ)، وَعَبْدُ
الْقَادِرِ هَذَا هُوَ عَبْدُ الْقَادِرِ
الْجِيلَانِي؛ وَهُوَ أَحَدُ الزَّهَّادِ، وَيَذْكُرُ
بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُ كَانَ عَلَى السَّنَةِ
حَقِيقَةً وَلَمْ يَكُنْ صُوفِيًّا؛ لَكِنْ
الصُّوفِيَّةُ تَبَنُّوهُ وَغَلَّوْا فِيهِ، وَصَارَتْ
عِنْدَهُمْ طَرِيقَةُ اسْمِهَا الطَّرِيقَةُ
الْجِيلَانِيَّةُ؛ أَمَّا هُوَ فَلَمْ يَكُنْ صُوفِيًّا-
فِيمَا يَذْكُرُ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُ كَانَ
عَلَى السَّنَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ- تَوَفَّى سَنَةً
إِحْدَى وَسْتَيْنِ وَخَمْسَ مِائَةٍ فِي بَغْدَادِ

وكان حنبلياً؛ والمهم أنه كان
رمزاً من رموز الصوفية؛ فالصوفية
عندهم رموز يعبدونهم من دون الله
سبحانه وتعالى؛ سواء كان عبد
القادر الجيلاني، أو الحسين، أو
العيدروس في اليمن، أو عبد السلام
الأسمر في ليبيا، أو الأضرحة التي
في مصر، أو غيرها كثير في مصر،
وفي دمشق وغيرها كثير جداً في
أماكن مختلفة، والعبرة ليست في
نفس الشخص؛ بل العبرة في صرف
العبادة لغير الله سبحانه وتعالى؛
هذا هو المهم، وهنا يقولون لك
نحن نعلم أنّ هؤلاء لا ينفعون ولا
يضرّون، ونعتقد أنّ الخالق الرازق
النافع الضار هو الله سبحانه
وتعالى؛ إذاً أين الشرك؟ هذه
شبهتهم.

قال المؤلف: **(ولكن أنا مُذْنِبٌ،
وَالصَّالِحُونَ لَهُمْ جَاءَ عِنْدَ اللَّهِ، وَأُطْلِبُ
مِنْ اللَّهِ بِهِمْ)**

أي: يقول لك: أنا عندي ذنوب، نعم
أنا اعتقد هذه العقيدة؛ لكن عندي
ذنوب والصالحون لهم جاء عند الله،
واطلب من الله بهم؛ هذه هي شبهته.

قال: (فجاوبه بما تقدم؛ وهو: أَنَّ
الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، مُقِرُّونَ
بِمَا ذَكَرْتُ، وَمُقِرُّونَ بِأَنَّ أُوثَانَ هُمْ لَا
تُدَبِّرُ شَيْئاً؛ وَإِنَّمَا أَرَادُوا الْجَاهَ
وَالشَّفَاعَةَ)

(بما تقدم) أي: الذي تقدم في أول
الرسالة هو رد على هذا؛ المشركون
من كفار قريش كانوا يعتقدون أَنَّ الله
هو الخالق الرازق المدبر.. إلى
آخره؛ نفس عقيدتك تماماً،
ويعتقدون أَنَّ هذه الآلهة التي
كانوا يعبدونها تقرّبهم إلى الله
زلفى؛ لذلك كانوا يعبدونها، وهذا
هو محل الاشتراك بينك وبينهم؛ أنت
تعتقد كما يعتقدون تماماً وتفعل
كما يفعلون؛ لكنك فهمت الشرك
خطأً، فظننت أَنَّ الشرك فقط أَنَّ

تعتقد بأن الخالق الرازق المدبر
غير الله سبحانه وتعالى؛ لا ليس هذا
فقط هو الشرك.

إذن فالجواب بما تقدم؛ وهو أن
الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مثل كفار
قريش مقررون بما ذكرت ومقررون بأن
أوثانهم لا تدبر شيئاً؛ وإنما
أرادوا الجاه والشفاعة؛ هذا الذي
كان حاصلاً منهم؛ والدليل على ذلك
قول الله تبارك وتعالى في سورة
يونس: {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا
يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ
شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ} (1)؛ إذاً هذه نفس
العقيدة أم لا؟

نعم هي نفس العقيدة؛ {مَا نَعْبُدُهُمْ
إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} (2) هذه
عقيدة مشركي قريش.

**قال: (واقراً عليه ما ذكر الله في
كتابه ووضحة)**

1- [يونس: 18]

2- [الزمر: 3]

يعني اقرأ عليه الآيات التي وردت
في أنّ كفار قريش كانوا يعتقدون
بأن الله هو الخالق الرازق المدبر،
واقراً عليه أنّ كفار قريش كانوا
يعبدون أصنامهم لتقربهم الى الله
زلفى، واقراً عليه آيات التوحيد:
{ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا
نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا
فَاعْبُدُونِ } (1) { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ
إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } (2) إلى آخر الآيات
التي وردت في التوحيد وصرف
العبادة لله سبحانه وتعالى وحده ،
وأنّ صرفها لغير الله سبحانه وتعالى
يعتبر شركاً .

الآن يوردُ إيراداً ؛ إشكالاً؛ فيقول
المؤلف رحمه الله :

**(فإن قال هؤلاء الآيات نزلت فيمن
يعبد الأصنام؛ كيف تجعلون**

1- [الأنبياء : 25]

2- [الذاريات : 56]

الصّالِحِينَ مِثْلَ الأصْنَامِ؟ أَمْ كَيْفَ تَجْعَلُونَ الْأَنْبِيَاءَ أَصْنَاماً؟

هذه الشبهة الثانية ، أين الشبهة
هنا؟

الشبهة هنا ليست في العبادة أو
فيما يفعل العابد مع المعبود؛
إنما الشبهة في نفس المعبود؛ لَمَّا
اختلف جنس المعبود، يعني: يقول
لك الكفار- كفار قريش- كانوا
يعبدون الأصنام، الحجارة، الشجر؛
يعني جمادات، مثل هذه الأشياء؛
أَمَّا نحن فنعبد الصالحين، أناساً
صالحين نعبدهم ليقربونا إلى الله
زلفى.

إذاً أين حصل الاختلاف بيننا وبين
كفار قريش؟

حصل في جنس المعبود، هم يعبدون
أصناماً، نحن نعبد صالحين؛ هكذا
يقول.

كيف الرد على هذه الشبهة الآن؟

الجواب عن هذه الشبهة من جهتين:
الأولى: أن كفار قريش- مثلاً-
وغيرهم ممن عبد الأصنام، ما
عبدوها لأنها حجارة فقط؛ لا؛ بل
عبدوها لأنها هي صور الصالحين؛
فهي تعبر عن الصالحين؛ هي تماثيل
لأولئك الصالحين كما صنع قوم نوح،
ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر؛
أسماء رجال صالحين، لما ماتوا
صنعوا لهم التماثيل ثم عبدوا هذه
التماثيل؛ إذاً هذا هو أصلها
عندهم؛ فهم في الأساس إذاً يعبدون
الصالحين؛ هذا الوجه الأول.

الوجه الثاني: أن المشركين
الأولين ليسوا كلهم يعبدون
الأصنام؛ وإنما منهم من يعبد
الأنبياء، ومنهم من يعبد
الصالحين، ومنهم من يعبد الملائكة
أيضاً مباشرة دون واسطة التماثيل،
قال الله تبارك وتعالى في كتابه
الكریم: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ

مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا { (1) لاحظ هنا ماذا قال بعدها؟ قال: { أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ } (2) ، انظر: { أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ } الذين يعبدونهم هم أنفسهم - المعبدون - يتقربون إلى الله سبحانه وتعالى ويطلبون منه الوسيلة ، إذا هم يعبدون الصالحين ، وهؤلاء الصالحون يعبدون الله سبحانه وتعالى ويتوسلون إليه ويرجون رحمته ويخافون عذابه ، وقال البعض: هذه الآية أصلاً نزلت في الذين كانوا يعبدون الملائكة والمسيح وعزيراً ، وقيل بأنها نزلت في أناسٍ من العرب يعبدون الجن فأسلم الجن وبقي أولئك على شركهم ، وأنتم تعرفون كيف أن النصارى عبدوا المسيح ، قال الله

1- [الإسراء: 56]

2- [الإسراء: 57]

سبحانه وتعالى {مَا الْمَسِيحُ ابْنُ
مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ
الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ
الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ
ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} (1) ، لاحظ هنا
{قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ
لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ} (2) ودليل الشرك بالملائكة
قوله تعالى: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا
ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ
كَانُوا يَعْبُدُونَ (40) قَالُوا سُبْحَانَكَ
أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا
يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ
مُؤْمِنُونَ} (3) ، انظر: هؤلاء كانوا
يعبدون الملائكة - في زعمهم - لكن
حقيقة الأمر أنهم كانوا يعبدون
الجن؛ فهذا يبين لنا أن كفار
المشركين القدامى ما كانوا جميعاً
يعبدون الأصنام فقط؛ بل كانت تُعبد

1- [المائدة : 75]

2- [المائدة : 76]

3- [سبأ : 40-41]

الملائكة ويُعبد الأنبياء ويُعبد الصالحون؛ فهل بقيت شبهة؟ ما بقيت شبهة؛ انتهى الأمر.

قال: (فإنه إذا أقرَّ أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله، وأنهم ما أرادوا مِمَّنْ قصدوا إلا الشفاعة، ولكن أراد أن يُفَرِّقَ بين فعلهم وفعله بما ذكر؛ فاذا ذكر له: أن الكفار منهم من يدعو الأصنام، ومنهم من يدعو الأولياء الذين قال الله فيهم: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ})

وهنا لا زال يتكلم عن الشبهة السابقة ولم يدخل في الكلام عن الشبهة الثالثة

قال: (ويدعون عيسى ابن مريم وأمه، وقد قال الله تعالى {مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمْ

الآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ قُلْ
أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ
ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ { }

وقد قرأنا لكم هذه الآية .

قال : (واذكر له {وَيَوْمَ يَخْشُرُهُمْ
جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ
إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ* قَالُوا
سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ
كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ
مُؤْمِنُونَ})

وقرأنا هذه الآية أيضاً .

قال : (وقوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ
يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ
اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ
قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ
مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ
عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ
مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ

الْغُيُوبِ} (1) ؛ فقل له : عرفتَ أَنَّ اللَّهَ
كَفَّرَ مِنْ قَصْدِ الْأَصْنَامِ ، وَكَفَّرَ أَيْضاً مِنْ
قَصْدِ الصَّالِحِينَ ، وَقَاتِلْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

هذه تمة الشبهة الثانية .

(فإن قال : الكفار يريدون منهم ،
وأنا أشهد أَنَّ اللَّهَ هُوَ النَّافِعُ الضَّارُّ
الْمُدَبِّرُ ، لَا أريدُ إِلَّا مِنْهُ ،
وَالصَّالِحُونَ لَيْسَ لَهُمْ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ،
وَلَكِنْ أَقْصِدُهُمْ ؛ أَرْجُو مِنَ اللَّهِ شَفَاعَتَهُمْ)

هذه تمة أو تفصيل لجزء من
الشبهة الأولى ؛ يعني : هنا يقول
المشرك الذي يغلو في الصالحين
ويتعلق بهم ويدعوهم من دون الله ؛
يقول : الكفار كانوا يطلبون من
أولئك الصالحين قضاء الحوائج ؛
كشفاء المرضى مثلاً ، والنصر على
الأعداء ، وإنجاب الولد ، وغير ذلك ؛
قال : وأنا أعلم أَنَّ اللَّهَ تعالى هو
النافع الضار وَأَنَّ الصَّالِحِينَ لَيْسَ
لَهُمْ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ وَأَنَا لَا أريدُ إِلَّا

الله؛ ولكني أتوجه إليهم أطلب من الله
بشفاعتهم .

فما الجواب؟

قال المؤلف: **(فالجواب: أن هذا
قول الكفار سواء بسواء)**

أي: نفس قول الكفار .

قال: **(واقرأ عليه قوله تعالى:
{وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ
مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ
زُلْفَى})**

إذا هم يعبدون أصنامهم وأوثانهم؛
كي يقربوهم الى الله سبحانه وتعالى؛
يعني: كي يشفعوا لهم عند الله .

قال: **(وقوله: {وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ
شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ} (1))**

إذا هذا نفس المقصد .

قال: **(واعلم أن هذه الشبه الثلاث؛
هي أكبر ما عندهم)**

هذه هي الشبه الثلاثة وهذا جوابها
بالتفصيل، وهذه الشبه هي أعظم
شبهاتهم، إذاً ما عندهم شيء
حقيقةً.

قال: (فإذا عرفت أنَّ الله وَضَّحَهَا لَنَا
فِي كِتَابِهِ، وَفَهَّمَتَهَا فَهْمًا جَيِّدًا؛
فَمَا بَعْدَهَا أَيْسَرُ مِنْهَا)

أي: الذي بعدها أسهل منها؛ خلاص
هذه هي أعظم ثلاث شبهات عند
القوم؛ وهي كما ترى واهية جداً
جداً جداً.

نكتفي اليوم بهذا، ونكمل في
الدرس القادم إن شاء الله.